مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 27 عدد: 1 (رت 70) السنة: 2023

الولاء للجماعة وانعكاساته السلبية على سلوك الأفراد في مجتمعنا الجزائري

نظرة أنثروبولوجية

Loyalty to the group and it negative repercussions on the behavior of individuals in our Algerian society (anthropological view)

موسى إسماعيل شماخي[1]
جامعة قسنطينة2
ismail.chamakhi@univ-constantine2.dz

تاريخ الوصول 2022/07/20 القبول 2022/10/17 النشر على الخط 2023/01/15
Received 20/07/2022 Accepted 17/10/2022 Published online 15/01/2023

ملخص:

لقد حاولت من خلال دراستي البسيطة هاته، تسليط الضوء على ممارسات الأفراد كأنساق وأجزاء من جماعات متعددة، وقد حاولت التركيز على بعض الجماعات التي حددها نزولي الإمبريقي، واتضح لي بأنها تساهم بشكل كبير في سقل تصورات الأفراد وممارساتهم، وقد لاحظت أن كثيرا من الانتماءات والولاءات تؤدي إلى السلوك المنحرف وغير السوي، فيسيئ بذلك الجزء إلى الكل ويخدش سمعته، وقد توصلت دراستي إلى ترتيب هاته الولاءات وما ينجر عنها من ممارسات إلى ثلاث مستويات:

– أن انتماءنا للقبيلة والعرش إذا انحرف عن العقل والحكمة، فسيسيئ لا محالة إلى عرش الانتماء.

– أن انتماءنا إلى المناطق المختلفة من جزائرنا الشاسعة لا يحقق التنوع المنشود، إذا كان منطلقه الجهوية واحتقار الآخر الغريب ونعته بالنعوت والأوصاف غير اللائقة.

– أن انتماءنا للطائفة الدينية سيزيغ عن الحق وعما جاءت به الشريعة المحمدية، إذا خرج عن حدود الاختلاف المحمود إلى دائرة الخلاف المذموم.

الكلمات المفتاحية: الولاء.، الجماعة.، العرش.، الطائفة.، الجهوية.، العنصرية.

Abstract:

I have tried, through this simple study, to shed light on the practices of individuals as systems and parts of multiple groups, and i have dealt on some of the groups identified by field research, and it became clear to me that it contributes to the shaping, and building of individuals' perceptions and practices, and i have noticed that many affiliations and loyalties lead this leads to deviant and abnormal behavior, my study has identified three levels of group affiliation:

- The deviation of affiliation to the tribe and the throne from reason and wisdom, get hurt the individual and the group.
- Our belonging to the different regions of our vast Algeria does not achieve the desired diversity, if it is based on regionalism.
- will deviate belonging religious about the muhammadan sharia brought, if it goes beyond the limit of praiseworthy difference, to the circle of passive disagreement.

Keywords: Loyalty; group; throne; sect; regionalism; racism.

[1] المؤلف المراسل: **موسى إسماعيل شماخي** البريد الإلكتروني: **ismail.chamakhi@univ-constantine2.dz**

1. مقدمة:

إن موضوع الجهوية والعنصرية يجذبنا كأنثروبولوجيين باعتباره يشمل ثقافة مجتمعية طبع عليها عديد الأفراد من خلال تنشئاتهم وتعاملاتهم مع البيئة الاجتماعية المحيطة، فالحديث عن ذكر الآخرين بما ليس فيهم لا يهمنا بقدر ما يهمنا ذلك التواصل المفروض على كثير منا كأفراد في المجتمع، خاضعين لعديد القوانين التي تفرضها جماعة الانتماء، سواء كانت جماعة الأسرة أو الرفاق أو غيرها مما يخضع له الفرد كجزء من الكل.

وحتى نكون صادقين مع بعضنا البعض، فإننا معرضون أو تعرضنا لهذا التنابز سواء كفاعلين أو مفعول بنا أو علينا، باعتبار الفرد كما أسلفت خاضع لجماعة الانتماء، وهو ما أكد عليه عديد العلماء الأنثروبولوجيين والسوسيولوجيين والنفسيين، كون المرء يعبر في كثير من الأحيان من خلال سلوكه عن آراء وأفكار الجماعة، وقد يكون هذا التعبير مضرا لجماعة أخرى أو أفراد آخرين ومهددا في الأخير لتماسك الأفراد المكونيين للكل المركب (المجتمع).

لقد اجتهدت في هاته الدراسة البسيطة باختيار عينة من مجتمعنا الجزائري، وقد ساندني في ذلك ظروف تنشئتي التي تنوعت بين عديد ولايات الوطن شرقا ووسطا وغربا، منطلقا من مقر سكني بوهران، مرورا بمكان ازديادي تيارت، ومنطقة الجلفة أصول أخوالي، وصولا إلى منطقة بسكرة أصول أعمامي، للكشف عن بعض مظاهر التنابز والجهوية والعنصرية، وقد كان الهدف من الدراسة الوصول إلى معرفة ما يلي:

- ماهية الجماعات التي تسقل شعور الانتماء للأفراد.
- مظاهر العنصرية في ممارسات الأفراد اتجاه بعضهم بعض.

ولا يمكننا الوصول إلى معرفة أنثروبولوجية اتجاه الأهداف السالفة إلا من خلال الإجابة عن التساؤلات التالية:

- ما علاقة الفرد بالجماعة؟
- كيف يمكن أن يتحول الإنتماء والولاء للجماعة إلى سلوك منحرف غير محمود ومهدد لاستقرار المجتمع؟.

2 . ماهية الجماعات الإنسانية

1.2 الفرد والانتماء:

يرى "آش Asch" بأن الجماعة تتمثل في "مجموعة السلوكيات الشخصية غير الخاضعة للذاتية، والمتجهة نحو سلوك مشترك، مشكِّلة بناء متماثلا ومتناسقا، هاته السلوكيات، هي التي تخرج حقائق الجماعة إلى الوجود، وتحدث ظاهرة ثبات وتماسك عمليات الجماعة" (محمد إبراهيم عيد، 2000، صفحة 65).

ويعرفها "الأستاذ معوض" بكونها "وحدة اجتماعية تتكون من ثلاثة أشخاص فأكثر، يتم بينهم تفاعل اجتماعي وعلاقات اجتماعية وتأثير انفعالي ونشاط متبادل، على أساسه تتحدد الأدوار والمكانة الاجتماعية لأفراد الجماعة، وفق معايير وقيم الجماعة إشباعا لحاجيات أفرادها ورغباتهم وسعيا لتحقيق أهداف الجماعة دائما" (زايد أحمد، 2006، صفحة 6).

إذن، تتميز الجماعة بعدة خصائص كالتجمع والتماسك والانسجام، فضلا عن خاصية الانتماء والعمل الجماعي من أجل تحقيق هدف مشترك، وتبادل التفاعلات والأدوار والوظائف، وهو ما ينسجم مع ما ذكرناه سالفا، باعتبارها المحدد الأساسي لسلوك الفرد في كثير الأحيان، مما ينعكس سلبا أو إيجابا على وحدة وتماسك الكل المركب (المجتمع)، ثم إن هذا الانسجام يتحقق

من خلال ما أطلق عليه "موكور" (الروح المعنوية) وهي "إرادة يدعمها العقل لبلوغ هدف مشترك"، وكما رآها "هاريمان" بأنها "شعور انفعالي حماسي اتجاه ما تقدم عليه الجماعة من أعمال"، وقد حذر "وارين فو" على التفريط في الإنتماء العاطفي للجماعة والتمسك بمثلها دون وضع لميزان العقل والحكمة" (إدواورد ويستمارك، ت.مصباح الصمد وآخرون، 2001، الصفحات 203-238). فلا يمكننا أن نخفي مدى قدرة الجماعات الإنسانية المتعددة على التأثير في ميولات الأفراد والتأسيس لأفكارهم وتوجهاتهم، من خلال السهر على تأكيد الإحساس بهويتهم، والإستجابة لدوافعهم وتطلعاتهم لما يخدم مصلحة أعضاء الجماعة.

2.2 أنواع الجماعات

ويجب أن أشير إلى مجموعة من أنماط الجماعات التي يقرها علماء الإجتماع والأنثروبولوجيا والتي تهم دراستي في الآتي:

أ. الأسرة:

الأسرة هي الخلية الأساسية في المجتمع وأهم جماعاته الأولية، تتكون من أفراد تربط بينهم صلة القرابة والرحم، وتساهم في النشاط الإجتماعي في كل جوانبه المادية، والروحية، والعقائدية، والإقتصادية، وللأسرة حقوق مثل: حق الصحة، وحق التعلم، وحق السكن، والأمن كما للأسرة واجبات مثل: نقل التراث واللغة عبر الأجيال، والوظيفة والأدوار (البستاني محمود، 1994، صفحة 188).

ب. جماعة القرابة:

كل المجتمعات البشرية وبدرجات متفاوتة محكومة بالقرابة التي تشكل مجموعة النسل والإرث والطقوس والأدوار... إلخ، وبنسب مختلفة، سواء تلك التي يمثل فيها نظام القرابة تعقيدا أقل ودورا أقل كما هو الحال في المجتمعات الغربية، أو تلك المجتمعات التي تميل للإعتماد على نظام القرابة بشكل كثيف لتحديد وتوزيع الأدوار الإجتماعية والإقتصادية لأفرادها كما هو الحال في المجتمعات الشرقية بشكل عام إن جاز لي تعميمها، ولهذا فإن نظام القرابة والعائلة يمكّننا من فهم أوسع لطبيعة المجتمع الذي تتم دراسته من خلال هذه الأنظمة الإجتماعية، والجدير بالذكر، أن نظام القرابة هو في أساسه عملية عقلية وليس تطبيقية أو منهجية تسير على أسس عالمية ثابتة، فالناس ينظرون لنظامهم القرابي والعائلي، بتداخلات فلسفية، ودينية، واجتماعية وهذا ما يسبب اختلاف النظرات والإعتبارات الإجتماعية والفكرية لهذا النظام (إدواورد ويستمارك، ت.مصباح الصمد وآخرون، 2001).

ت. الجماعة الشعائرية:

وهي عبارة عن تلك الجماعات التي تربط بينها معتقدات دينية أو تقاليد أو عادات، تعمق الإحساس المشترك بينهم، وتحقق توازنهم الإجتماعي، والأمثلة على ذلك كثيرة كشعائر الحج مثلا، أو شعائر الصلاة حين يصطف الناس كالبنيان المرصوص (إدواورد ويستمارك، ت.مصباح الصمد وآخرون، 2001، صفحة 214)، وقد اتضح ذلك لي جليا في زيارة لأدرار، وبالضبط الإحتفال بالسبوع في زاوية الحاج بلقاسم بتيميمون، من خلال مجموعة الشعائر المصاحبة لهذا الإحتفال، من تلاوات للبردة، والشيخ البغدادي، وكذا التويزة وبالضبط "تويزة أفراك"، كلها تؤكد على أن الجماعة الشعائرية لها دور كبير في تحقيق الإستقرار والإستمرار.

3. نظرة أنثروبولوجية للتنابز بالألقاب في الجزائر

باعتباري ولدت بعائلة تنحدر من مناطق مختلفة من جزائرنا الشاسعة، وبحكم تواصلي مع عديد أفراد عائلتي وفق ما يمليه عامل القرابة، لم أرتئي إلا إلى أن أتناول هاته المناطق كميدان لدراسة موضوع التنابز بالألقاب، ويجدر مني بدءا القول أنه لا يختلف اثنين على أن هاته المناطق التي سأذكرها فيما يلي:

- منطقة بسكرة أصول عائلة جدي من والدي.
- منطقة تيارت مكان ازدياد وتنشئة والدي وأعمامي.
- منطقة وهران مقر سكن عائلتي وأسرتي الصغيرة.
- منطقة الجلفة مكان أصول أمي وأخوالي.

تتجذر في عمق التاريخ السوسيوثقافي للمجتمع الجزائري، انطلاقا من الإنسان الحجري بكلمناطة بالدحموني شرق تيارت 16 كلم، والنقوش الأثرية جنوب الجلفة 25 كلم بعين الناقة، وما ترويه قصص الفاتحين بتهرت كعاصمة للرستميين، وقبر الصحجي بالجلفة، والزاوية الرحمانية ببسكرة واعتبارها مرسا بريا للمريدين وللرحلات التجارية والحجاج (سيدي خالد 110 كلم غرب بسكرة) وخط أغادير مكة التاريخي (أنظر الملحق رقم1)، وصولا إلى مجابهة المستعمر الفرنسي واعتبار تيارت أحد محطات الأمير لتأسيس زمالته على مرتين غرب مدينة تيارت بتاقدمت، وإلتفاف سكان الجلفة حول الأمير ومبايعته حين طلب البيعة والنصرة، وقد كانت لي دراسات سابقة عن مؤهلات كل من هاته المناطق السياحية والثقافية، بينت وأكدت من خلالها أن قوتنا الحقيقية في إلتفافنا الصادق حول ما نملكه من موروث سوسيوثقافي يميزنا عن الآخر المختلف، ويساهم في تعزيز الإسقرار والإستمرار.

إنه ومما سبق وبالرغم من امتلاكنا للزخم والغنى القيمي والتراثي، إلا أن هذا لا يمنع وجود عديد الممارسات والسلوكات السوسيوثقافية التي تعزز الإندثار والتفكك بدل الإستقرار والتماسك، ساهمت فيها عديد التراكمات والعوامل السوسيوتاريخية، فالموروث الحالي ماديا كان أو معنويا لا يمكن فصله عن الحضارات المتعاقبة على جزائرنا الشاسعة، وأثره ومخلفاته على الجماعات فالأفراد يستدعينا كمتخصصين للغوص في أعماقه والبحث بين ثناياه، وهو ما أطلق عليه في محاضراتي وبحوثي إن صح لي التطفل على المصطلحات بـ (الغربلة السوسويوثقافية والتاريخية)، لتجاوز كل ما من شأنه تفكيك العلاقات الإجتماعية والتأكيد على ما يعززها ويقويها.

وباعتبار الأنثروبولوجيا تحتم على الباحث الإحتكاك بالمجتمع ميدانيا وتدوين الواقع المعاش ونقله كما هو دون المساس به أو تعديله، فإني أحاول من خلال ما أسرده لاحقا، التطرق إلى تجليات التنابز بالألقاب في المناطق التي سبق واحتككت بها مذ نعومة أظافري إلى وقتنا الراهن، والتي تستدعيني كفرد ينتمي لمجتمع يعج تاريخه الثقافي بالعلماء والأولياء والحكماء، إعادة القارئ لحقيقة أجداده البريئين من عديد السلوكيات التي وصل إليها أحفادهم في زمننا الحالي، لا سيما موضوع التنابز الذي لا يمد بصلة لهؤلاء الجبال حتى لا أقول الرجال، وقد نبه الباحث العيدية حمزة في مقال له تحت عنوان "منهج الإمام سيدي الهواري في الإصلاح والدعوة في مدينة وهران" (العيدية حمزة، 2014، صفحة 23) إلى ضرورة العودة إلى مناقب العلماء والحكماء من أسلافنا وعدم الإقتصار على تذكرهم في المناسبات وفقط، بل القراءة عنهم واعتمادهم قدوة، خاصة وأن الحائل بيننا وبينهم عبر القرون الماضية، حقبة إستعمارية حاولت جاهدة طمس الهوية الجزائرية وتشويهها وإعادة تشكيلها وفق ما يخدم مصالحها الكولونيالية، يقول الباحث

العيدية حمزة بهذا الصدد: "مما لا شك فيه أن الشيخ الإمام سيدي الهواري رحمه الله تعالى من أبرز الشخصيات التي شهد لها التاريخ بالإصلاح والنبوغ والدعوة إلى الحق، ويكفيه فخرا أن اسمه صار لصيقا بمدينة وهران وذاكرة الوهرانيين وأكثر من ذلك أنهم يتبركون بتسمية مواليدهم باسمه –الهواري–، ولكن ما يؤسف له أن تاريخه العلمي والإصلاحي والدعوي مجهول في ذاكرة معظم أهل وهران بصفة خاصة والشعب الجزائري بصفة عامة، فإذا سألتهم عنه لا تتجاوز الإجابة بأنه ولي صالح له الكرامات الظاهرة والأحوال الباهرة، والحقيقة أن علماء وهران أكثر من أن يأتي عليهم العد أو يشملهم الحد، لهذا صار لزاما رفع الستار ونفض الغبار عن مثل هذه الشخصيات التي تركت بصمات وأن نحفل بهم ونقدرهم حق قدرهم" (العيدية حمزة، 2014، صفحة 23).

1.3 مظاهر التنابز بالألقاب في بعض مناطقنا الجزائرية:

أ. الولاء للقبيلة:

ينجر عن هذا الإنتماء العشائري والقبلي العديد من السلوكات المنحرفة والتي تندرج ضمن سياق التنابز غير المحمود دينيا واجتماعيا، وقد يتحول بمرور الزمن إلى ثقافة بعد التعود على ممارستها دون رادع يردعها وناه ينهاها، فيصير الفرد ناطقا باسم القبيلة نافيا بانتمائه لها كل قيم الإختلاف عنها والتميز عنها، وإن كان في الأصل انتماء الأشخاص لقبائلهم وعشائرهم سنة بشرية، إلا أن هذا الإنتماء إذا لم يكن محاطا بوازع العقل والحكمة يصير مذموما وعاملا من عوامل التفكك الإجتماعي، فبعد ظهور الإسلام أدان القرآن بشدة هاته المظاهر السيئة ودعا المسلمين إلى التخلص من التحيز الطائفي والقبلي المتخلف، أطلق عليها العلامة "ابن خلدون" لاحقا مفهوم العصبية، وقد أخذت من دراسته في مقدمته الشهيرة حيزا وحظا كبيرين، إذ نجده يتكلم أولا عن مصدرها والذي يرجعه إلى الطبيعة البشرية وإلى أثر القرابة في الحياة الإجتماعية وهي على مستويين:

- صلاة الرحم (عصبية الدم): منشؤها طبيعي في الإنسان فالطبيعة تفرض عليه العطف على أقربائه والمدافعة عنهم.
- الحلف والولاء: وسببها الأنفة التي تلحق النفس من اهتضام جارها أو قريبها أو نسيبها كما قال (السعيد بن عزة، بوبكر معيفي، 2021، الصفحات 342-343).

وقياسا وإسقاطا لما سبق على مجتمعنا الجزائري، فإني لمست الكثير من هاته الممارسات في سلوكات الكثيرين، فتجد في منطقة تيارت مكان نشأتي التي أجعلها منطلقا، عديد الأشخاص متجاوزين انتمائهم لعرشهم مستوى صلاة الرحم إلى الولاء والحلف، الذي يقودهم في الأخير إلى موضوع بحثنا التنابز، فهذا "كريشي" وذاك "حلوي" وذاك "ولد بوغدو" وذاك "عويسات" وذاك "مكناسي" وذاك "مطماطي"، وإن كان اختلاف أنساب البشر حكمة إلهية في العباد لتعمير الأرض والتعارف كما قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)) (الحجرات، الآية 13.)، إلا أننا كباحثين ندق ناقوس الخطر لما يتحول الإنتماء إلى احتقار للآخر وإنتقاصا منه، فينعت "الكرايش بالهوايش" وحاشاهم أن يكونون كذلك وهم أهل الخيل والخير والكرم، ومنطقتهم (مغيلة) 60 كلم شمال تيارت تشهد أكبر الوعدات تحتضن الناس من كل أنحاء الوطن، كما احتضنت سالفا أربعين وليا صالحا، يذكر الذاكرون أنهم اختاروها منطقة لتعليم الناس القرآن والفقه وكل ما يصلح حالهم وأحوالهم، وتسمع عن حلوية وهم عرش يقع شمال تيارت ب20 كلم فيهم من الخير والكرم ما لا يقل عن سابقهم الذي ذكرنا، أنهم "لا صدق لا نية يدخلوها بالزغاريت ويخرجوها بالمساليت" وهي دعوة باطلة في حقهم أنهم ينكرون الآخر وينبذونه ويخدعون العشير، وقد سبق أن تزوج الكثيرون من عندهم من مناطق مختلفة من الجزائر،

وشهدوا لهم بحسن النسب وشرفه وبركته، أذكر منهم جارا لنا من أحسن الناس تربية، أبوه من آريس الرجال الأشاوس وأمه من حلوية البركة، كما أن عرش اولاد بوغدو يقذفون من طرف أعراش أخرى أنهم بخلاء وشحيحون "اولاد بوغدو ما يعشو ما يغدو"، وهو انتقاص من حقهم واتهام لهم بالباطل إذ لا يختلف إثنان على أن التعميم لا أساس له من الصحة، وكم من كريم أنجب لئيما وكم من لئيم أنجب كريما، وقد سبق لي شخصيا التعامل مع هؤلاء والأكل في بيوتهم أحسبهم من أهل الكرم والجود والخير، ثم إن عرش العويسات الذي يتموقع على سهل شمال شرق تيارت 15 كلم عن مقر الولاية، فيتهمون هم الآخرين بالجبن "فالنهار عويسات وفالليل عويشات"، وهو ما لا يمد للواقع بصلة بتاتا، فكم قدم هذا العرش على غرار بقية العروش من شهداء ومجاهدين يكفيهم هذا التنابز عليهم ويمحقه، انطلاقا من خربة اولاد بوزيان والشريطة والشهيد عايش عبد القادر (facebook، 2017) والدحموني ومعركة لخنڤ لحمر بتاريخ 22 مارس 1960 بقيادة الشهيد "ملاح توفيق، و"عين مريم وصولا لبوشقيف فحدود السوقر وشهيد العويسات البطل لكحل بن عيسى . (facebook، 2019).

ب. الولاء للمنطقة:

إذا لم تستطيع التنظيمات مهما كان نوعها عائلية أو قبلية أو عشائرية، التحكم في سلوكات أفرادها، فإنها ستصطدم حتميا بجدار التنافر والتباعد والشروخ، وهو ما لا يتماشى ومساعي الدولة الديمقراطية الرامية إلى حفظ حقوق مواطنيها دون تمييز ولا مغالاة، وحتى نكون واقعيين فإن مجتمعنا الجزائري لا يحافظ على العديد من المميزات الأنتروبولوجية القائمة على القرابة والإنتماء العائلي والجهوية والعرقية وفقط، بل يتعدى الإطار السوسيوثقافي إلى الإطار الرسمي القائم على سلطة القانون، ليتستغله وفق تصوراته العروشية الضيقة في كثير من الأحيان، وهو بذلك يقف كعائق أمام المسار الديمقراطي ويكبح في عديد من الأحيان عملية بناء الدولة وتجسيد فعالية المواطنة في مجتمع شأنه القيام على الحرية والتعددية والمساواة والعدالة الإجتماعية، ولقد أشارت الباحثة سعدية بكري في مقال لها تحت عنوان:

L'IDENTITE ENTRE LE « JE » INDIVIDUEL ET LE «NOUS COLLECTIF.

إلى أن: "الهوية تحمل في طياتها القوة للبناء ولكن أيضًا القوة للتدمير، ففي حالة تحديد الفرد ما يكون وما لا يكون، وما هو إيجابي وما هو سلبي انطلاقا من جماعته الإثنية، هو بحد ذاته تصرف سلبي، فالواجب أن يكون له مشاركة في بناء العالم لا تدميره، وذلك بإحترام الهوية في جانبيها ("أنا" "أنت")، فالآخر لديه أيضًا كيان مهما بدى غريبا، ولا يكون هذا إلا بإلتزام كل فرد بإحترام القوانين التي تسمح التعايش بين الجماعات المختلفة، من أجل إحلال السلام"(Sadia Bekri, 2017, p. 52) .

إنه ومما سبق وجب مني كباحث تفاعل مع مجتمع بحثه، التأكيد على أن خطر الإنتماء للجهة لا يقل خطرا عن الإنتماء للعرش، فالأول يقود مباشرة إلى الثاني، وأذكر بعض نماذج التنابز الجهوي إنطلاقا من منطقة سكناي بوهران، فعديد الأفراد الذين لا يمثلون إلا أنفسهم ولا تقاس بهم وهران الصالحين والخير والبركة، يحكمون على من يأتي من منطقة قريبة من وهران بكلمة "ڤليط" وهي توافق كلمة "أعرابي" في اللغة العربية، وهي في الحقيقة لا تمد بصلة لمعناها، بحيث في كثير من الأحيان يكون الناطق بهاته الكلمة أقل شأنا من المنعوت بها، وهنا أنقلكم إلى بقية أنحاء الوطن التي يتعرض فيها القادمون من منطقة قريبة لنفس المعاملة، فعلى سبيل المثال لا الحصر في منطقة الجزائر العاصمة يقال على لسان من لا يحسبون على منطقة عبد الرحمان الثعالبي بدلا من "ڤليط" "شبرڤ"، وفي منطقة تيارت الخير والخيل "جبري"، يقابلها في مدينة بسكرة عبارة "جاي مالصحرا"، وفي منطقة الجلفة تتحول الكلمة إلى معنى آخر هو "طرونجي" وهي مستوحاة من الكلمة الفرنسية "un étranger" وهو متعلق ببعد منطقة الشخص

ولهجته، يقابلها في منطقة وهران "براني"، وهي نفس الكلمة التي ينعت بها الغريب في منطقة تيارت حيث تشتهر جملة هنالك "تيارت تخرج غي على البراني"، ولقد كانت هاته الجهوية سببا في انطلاق حملات النكت سابقا على منطقتين عريقتين من الغرب الجزائري وكان كثير منها يبث للأسف على التلفزيون، كالإستهزاء بلهجة إخوتنا التلمسانيين وحروف (القاف والألف) (https://youtu.be/CPRgBS8hCrs,, 2011)، والإستهزاء بإخوتنا المعسكريين البريئين من كل ما قيل فيهم والمشهود لهم بالكرم والشهامة، والذين يكفيهم فخرا أنهم أحفاد مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة الأمير عبد القادر رحمه الله، وبالعودة إلى مدينة تيارت، فتجد عديد الأشخاص يستهزؤون بمن يأتي من البلديات المجاورة في نفس السياق اللهجي، فبدلا من القاف والألف تجد (الغين والقاف)، ويجدر مني القول كباحث أنثروبولوجي، أن السكوت عن هاته الممارسات قد ينقلنا إلى مرحلة أخطر من التنابز بحيث تتحول المسألة من نكت واستهزاء إلى جهوية قد تعصف باستقرار مجتمعنا الجزائري، فقد التقيت بكثير من الأشخاص من مناطق دراستي وأبدأ من الجلفة، حيث قالوا لي بأنهم كلما تحدثوا بلهجتهم حين نزولهم بمناطق مختلفة من الوطن، أحسوا بنوع من السخرية، وقد سرد لي أحد الأساتذة الأفاضل من الجلفة، أنه وحين ركوبه بحافلة بالجزائر العاصمة، وحين تعامله مع قابض الحافلة سأله بمزاح: "شحال بعت من خروف باش جيت هنا"، فأجابه بمزاح أيضا: "وانتايا شحال كليت من حمار باش راك تخمم كيماهاك"، وإن كان الأمر مزاحا إلا أنه ترك في نفس الأستاذ شيئا من الأسى على واقع تصرفاتنا ومعاملاتنا، واستدرجه لخفض مستوى التعامل والتواصل، وقد سبق قبل أيام قليلة وأن تتبعت حصة خلف الصورة على قناة الشروق نيوز بعنوان: العنصرية مرض يصيب العقول، حضرها أستاذ يقطن بالجزائر العاصمة تخصص علم الإجتماع السيد (حسين.ز)، والشيخ شمس الدين الجزائري، أكد من خلالها الأستاذ الذي ينتمي لجامعة زيان عاشور بالجلفة، بأنه عايش معاملة سيئة وجهوية من طرف أحد الأشخاص، اتجاه أساتذة من جامعة زيان عاشور فور نزولهم معه من سيارة أجرة بمحطة خروبة بالجزائر العاصمة، وأكد على أن المتنمر عليهم، من خيرة الأساتذة وعلى مستوى عال من الدرجات العلمية والأخلاقية (https://youtu.be/egL2KJiWzkE, 2021).

وجب علي القول بأني كباحث أنثروبولوجي حريص على استقرار مجتمعه، أضم صوتي لصوت قناة الشروق، محذرا من مسألة الجهوية هاته، التي قد ترتفع لتصل إلى أقسى مراحلها وأوعرها ألا وهي العنصرية، وأذكر الجميع بأن ما قمت بسرده استخلاصا من واقعي المعاش والمعيش لحد الساعة، ينذرنا جميعا بخطورة الأمر، إذ لا تتوقف المسألة عن عدم احترام الأنا للغير وفقط، بل بنبذه من خلال وصفه بأبشع الصفات وأنذلها، ومن الأنعات التي أسمعها كل يوم حولي وأراها تندرج ضمن السياق الذي أتحدث فيه، عبارة "الڤبلي" أو "الڤبالة"، ثم إن ما جعلني أعتبرها الأخطر، هو تداولها الكبير في عديد المناطق الشمالية، وسأسرد لكم واقعيا طريقة تداولها انطلاقا من وهران ووصولا إلى الجلفة، يقول الوهراني الذي لا يمثل إلا نفسه للغليزاني ڤبليا، ويقول الغليزاني الذي لا يمثل إلا نفسه للتيارتي ڤبليا، ويقول التيارتي الذي لا يمثل إلا نفسه للجلفاوي ڤبليا، ويصف الجلفاوي القادم من الشرق بأنه أتى من الڤبلة، والقادم من الغرب بأنه أتى من الظهرة، وكأن الجلفاوي هنا ومن خلال هذا الوصف يحيلنا إلى ضرورة تعلم اللغة العربية، وأن أصل كلمة الڤبلة هو القبلة، وبالتالي فإن أجدادنا سالفا كانوا يصفون من يأتي من الشرق بأنه أتى من القبلة (اتجاه الكعبة المشرفة)، وهو وصف محمود، إلا أن غير المحمود، هو تحور المعنى عن أصله ووصف الشخص الذي يتحدث بلهجة أهل القبلة بالڤبلي، ثم إن صورته النمطية في ذهنه أنه ذو ملبس رث وأمي وبدوي، جاءت بحكم تعامل أهل الشمال مع رعاة الغنم موسم الصيف وكراء أراضيهم الفلاحية ككلئ لأصحاب الأغنام الذين ينتشرون في مناطق الجلفة والبيض جنوبي تيارت، يا أيها

المتنابز بالألقاب، إن هاته المناطق لم تنجب رعاة الغنم وفقط، وإن كنت لا تحترم رعاة الغنم الذين يحافظون على أجود أنواع الأغنام وسلالتها في العالم، ويساهمون في المحافظة على سيرورة دوران عجلة الإقتصاد الوطني، فمن واجبي كباحث تذكيرك بأن منطقة البيض تضم شيخ المجاهدين الشيخ بوعمامة رحمه الله تعالى الذي حير المستعمر الفرنسي، وأحيلك إلى مطالعة مقال الباحث بن عامر بكارة تحت عنوان: "القصور الصحراوية لولاية البيض دراسة وصفية من خلال التقارير الفرنسية") بكارة بن عامر(2019 ,، حتى لا يكون الفرنسي أكثر علما منا بأبناء وطننا، وهو وبالرغم من عداوته لنا، إلا أنه درسنا بالنزول ميدانيا بيننا، لمعرفة نقاط قوتنا وضعفنا حتى يكتبنا من منظوره ووفق ما يخدم مصالحه وأطماعه، ثم إن الجلفة تضم الشيخ بولنوار من قيادي جمعية العلماء المسلمين، كل هذا على سبيل المثال لا الحصر حتى أزعزع فيك روح القراءة والمطالعة فلا تكون بعد ذلك، كتلك المرأة التي استهزأت بضيفها، فقد سبق وأن سرد لي أحدهم أنه لما زار أحد أقاربه بالشمال، أكرموه بأطباق السمك، إلا أنه أبى أن يأكل إلا قليلا، بحجة عدم حبه للأسماك، فأجابته بمزاح قريبته كما قال لي: "انتوما الڤبالة الحوت تحسبوه زرمومية".

ويجب أن أقول بأن منطقة تيارت على سبيل المثال: وباعتباري من مواليدها، تنقسم إلى مناطق شمالية جبلية ومناطق جنوبية سهلية، يرى فيها أصحاب الجبال أصحاب السهول "ڤبالة"، فكثيرا ما يتردد على مسامعك بأن السوقر وهي على بعد 25 كلم جنوب مدينة تيارت أنهم "ڤبالة"، ويقول من يمثل نفسه دوما عنهم، بأنهم يختلفون لهجة عن مدينة تيارت ويميلون إلى لهجة "الڤبالة"، ويصف الكثير ممن لا يمثلون إلا أنفسهم أهل السوقر الذين نشهد لهم بالخير والكرم، بأبشع الصفات كعبارة "احرز يسوڤروك" أي إحترس على أن تكون مغفلا معهم فهم خطيرون، حتى صارت العبارة متداولة في عديد المناطق من الغرب الجزائري "التسوڤير"، وهو حكم قيمي وتعدي صارخ على سمعة مئتي ألف شخص ينتمون لهذا الإقليم، نفس الأمر بالنسبة لمهدية شرق مدينة تيارت حيث يتهمونهم بالسرقة ناعتيهم بأقوال ساقطة "مهدية دخلتها عرعار وخرجتها عرعار وناسها عار" وهو ما لا يقبله عقل ولا دين ولا قانون.

ت. الولاء للطائفة الدينية:

يرى كثير من الحكماء في كتب وتأليفات ونصوص جمة، ومن ثقافات مختلفة، أن الهوية تحتاج إلى قيود أكثر منها للحرية، لإنقاذ حياة الأفراد والسماح لهم بالاختلاط بسلاسة، والتعايش في سلم، وقد جاء الإسلام أول ما جاء ليقضي على كافة أشكال العنصرية واصفها بالسلوكات والتصرفات الجاهلية، فلو يقول الواحد منا أنا من بني فلان أو علان متعصبا، فهو في زمرة العنصريين، فعن جندب بن عبد الله البجلي قال: قال رسول الله صل الله عليه وسلم: ((من قتل تحت راية عمية يدعوا عصبية أو ينصر عصبية فقتلته جاهلية)) (أخرجه مسلم في صحيحه)، والدراسة الأنثروبولوجية الحقيقية تحتم على صاحبها ذكر كل ما يتعلق بجوانب الإنتماء للطائفة الدينية، بعيدا عن المثالية الموجودة في الكتب والأسانيد، قريبا من الممارسات والسلوكات، ولقد جاء في دراسات "وسترمارك" الأنثروبولوجي الفينلندي حول المغرب، من خلال كتابه "الطقوس والمعتقدات في المغرب"، بأن المجتمع المغربي لا زالت تستمر معه ممارسات ثقافية متمثلة في الخوف من الجن والعين، وكذا الإحتفالات الشعبية بعاشوراء، والتي ردها كلها إلى مرحلة ما قبل الإسلام وبالضبط إلى المرحلة الوثنية، ولخص الممارسات الشعبية البعيدة عن النصوص الفقهية، على سبيل المثال: ذلك الشخص الذي يصلي وفي نفس الوقت يذهب إلى المشعوذين، وكذا أولئك الذين يخشون العين الشريرة لدرجة مطالبة صاحبها بالتعويض المادي للمتضرر، وقد حاول "غيرفورد غيرتز" أن يعرف العلاقة بين التدين الشعبي في المغرب وأندونيسيا، وتوصل إلى ما

مفاده أن المسلمين موحدون في الخيال ليس إلا، أما واقعا فلا علاقة ولا رابط يجمعهم، وعليك الرجوع أيها القارئ الكريم إلى كتابه "الإسلام الملاحظ مقارنة بين أندونيسيا والمغرب"، وبالتالي فإن المجتمعات الإنسانية حسبه، هي في الحقيقة مجموعة من المجتمعات المختلفة والمتباينة في منظوماتها الثقافية، ولا يجمعها إلا بعض الرموز العليا، تظهر في شبه وعيهم، لكن لا علاقة لها بتوحيد واقع ممارساتهم الاجتماعية والثقافية.

إن نزولي إلى منطقة أدرار سابقا في سياق دراسة علمية، حول القيم الدينية والتماسك الاجتماعي، أظهر لي جانبا من جوانب التعصب بإسم الدين، قد يضرب استقرار المنطقة في يوم من الأيام، تلكم المسألة المتعلقة بالشرفة (يرجع نسبهم حسبهم إلى سيدنا علي رضي الله عنه)، والحراطين (حر ثاني وهم من أصول إفريقية)، فقد كنت جالسا عند أحد ممن يطلق عليهم الشرفاء نتناول أطراف الحديث وفجأة أذن المؤذن، وكنت قبلها التقيت بأحد مشايخ تدريس القرآن وهو ممن يطلق عليهم (الحراطين)، كان بهي الطالع وجهه يشع بنور القرآن بثياب بيضاء ناصعة، استحييت منه ومن معاملته الطيبة، فقلت لصاحبي الشريف سنصلي عند الشيخ مدرس القرآن فأجابني بأنه لا يصلي وراء حرطاني، وهي عصبية مبالغ فيها ولا تمد للدين بصلة، لأني في منطقة سكني في وهران أو في منطقة ازديادي تيارت أو منطقة أخوالي الجلفة طالما صليت خلف أئمة من منطقة أدرار، ممن يطلق عليه هؤلاء النعت الذي لا أريد تكراره مجددا، فقلت لصاحبي الشريف إذن أنت لا تصلي خلف سيدنا بلال الحبشي رضي الله عنه؟ فأجابني: "حاشاه هاذاك سيدنا بولال" نقلتها لكم بنفس لهجة المنطقة بالضمة فوق الباء، وبالتالي فإننا في كثير من الأحيان نسيئ إلى الدين الذي ننتمي إليه ونضر أنفسنا ومن حولنا باعتقاداتنا الخاطئة، وما ينجر عنها من ممارسات لا تمد بصلة لما جاء به الدين الإسلامي الحنيف، ثم إن هذا الإنتماء الطائفي قد يعصف بالعلاقات العامة فيصير الفرد يختصر سلوكه الإيجابي في إطار جماعته الإثنية هاته، غير آبه بأخيه في الإسلام، متهمه بما ليس فيه، والأمثلة عن ذلك كثيرة من واقعنا المعاش، فهذا سلفي وذاك إخواني وذاك صوفي وذاك تبليغي وذاك علماني، ثم إن اتهام هؤلاء وتوجيه أصابع التهم إلى بعضهم بعض، لا ينذر بالاستقرار بقدر ما ينذر بالتفكك، فقد بلغ المطاف بهؤلاء سابقا، الوصول إلى درجة أعلى من العنصرية ألا وهي "التكفير"، التي كانت أول أسباب استفحال الإرهاب، الذي كاد أن يعصف بوطننا الحبيب في عشرية كاملة، وأذكر الجميع بأننا في عالم متربص بنا، قد يستغل الآخر المختلف خارج حدودنا شروخاتنا إذا لم نتعلم من دروس الماضي.

4. خاتمة:

يتضح لنا جميعا مما سبق بأن الأنثروبولوجي يهتم في دراسته لثقافات الشعوب شق الممارسات الفعلية، وعدم الاكتفاء بالقراءة النظرية لنصوص الفقه في الدين، والتعاليم الإثنية، والقوانين المجتمعية، فالباحث الأنثروبولوجي باحث ميداني إمبريقي، يهتم بالتدين بدل الدين، والممارسة بدل التصور، وبالتالي فالواجب منا كأنثروبولوجيين أن نسخر هذا التخصص لخدمة قيم مجتمعنا الجزائري، في سبيل تحقيق تماسكه ودحض تفككه، ومن مظاهر التفكك هاته في مجتمعنا ما ذكرناه سالفا، حين تتحول "نحن" إلى نفس معنى "أنا" والتي مردها في الأخير إلى عدم وعي الفرد بماهية الانتماء السليم للجماعة، وحين تفتقد الجماعة لنزعة الرقابة لأنساقها المكونين لها، فيصير الآخر لا شيئا في مقابل "نحن".

إن منظومتنا الثقافية تحوي بين طياتها ما يدحض كافة مآلات نحن الإختزالية، ويحقق نحن الجامعة للجميع دون النظر لعرق أو لون أو لغة، وبما أن الإنسان اجتماعي بطبعه كما قال ابن خلدون، فإن احتياجه لمن حوله حاصل لا محال، وقد بعث الرسول

صل الله عليه وسلم وهو قدوة الجميع، داعيا لا نافيا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: "قال رسول الله صل الله عليه وسلم: ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)) (أخرجه أحمد (8939)، والبخاري في الأدب المفرد) ، فالأنثروبولوجي الجزائري وجب أن يندرج في سياق معنى الحديث، بالتنقيب في الآثار والتراكمات الثقافية، وتعزيز سمينها ودحر غثها، والخروج بنظريات جزائرية أنثروبولوجية تحقق تكامل أجزاء الثقافات المحلية في شكل ثقافة جزائرية موحدة.

5. قائمة المراجع:

- -facebook Abd El Aziz. (17 05، 2017). تاريخ الاسترداد 2021 09، 29، من Laiche:https://www.facebook.com/photo.php?fbid=1864061893822580&set=p.1864061893822580&type=3
- facebook (02 09، 2019). تاريخ الاسترداد 19 09، 2021، من . cspdahmouni.jeunessetiaret:https://www.facebook.com/photo/?fbid=194463664898071&set=basw.AbqyjruMrtE3tkfvoGS9GaSTtFIwsd1lzRqDd5aDdVXZDOgDRbqovdYAgPqmhttps://www.facebook.com/photo/?fbid=194463664898071&set=basw.AbqyjruMrtE3tkfvoGS9GaSTtFIwsd1lzRqDd5aDdVXZ
- ، (24 03، 2011). بلا حدود. تاريخ الاسترداد 29 09، 2021، من https://youtu.be/CPRgBS8hCrs youtube:https://www.youtube.com/watch?v=CPRgBS8hCrs&ab_channel=mouradhamdani.
- . (17 02، 2021). المرض. تاريخ الاسترداد 24 09، 2021، من https://youtu.be/egL2KJiWzkE يوتيوب: https://www.youtube.com/watch?v=egL2KJiWzkE&ab_channel=Echourouknews
- Sadia Bekri ، .(2017) .L'IDENTITE ENTRE LE» JE «INDIVIDUEL ET LE» NOUS COLLECTIF .«revue des sciences humaines.52 ،(1) 6،
- أخرجه أحمد (8939)، والبخاري في الأدب المفرد. (بلا تاريخ).
- أخرجه مسلم في صحيحه. (بلا تاريخ).
- إدواورد ويستمارك، ت.مصباح الصمد وآخرون. (2001). موسوعة تاريخ الزواج . (1، المحرر) بيروت، لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشروالتوزيع.
- البستاني محمود. (1994). الإسلام وعلم الإجتماع . (1، المحرر) بيروت، لبنان: مجمع البحوث الإسلامية للدراسات والنشر.
- الحجرات، الآية 13.
- السعيد بن عزة، بوبكر معيفي. (2021). العصبية في تفكير ابن خلدون السياسي. مجلة مدارات للعلوم الاجتماعية والانسانية (3)، 342-343.
- العيدية حمزة. (2014). منهج الإمام سيدي الهواري في الإصلاح والدعوة في مدينة وهران . المجلة الجزائرية للمخطوطات ، 10 (ع خ)، 23.
- أنظر الملحق رقم1.
- بكارة بن عامر. (09 02، 2019). asjp. تاريخ الاسترداد 29 09، 2021، من asjp: https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/402/4/7/85394
- زايد أحمد. (2006). سيكولوجية العلاقات بين الجماعات. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- محمد إبراهيم عيد. (2000). علم النفس الإجتماعي . القاهرة، مصر: مكتبة زهراء الشرق.

6. ملاحق:

صورة رقم1: تمثل الطريق البرية للتجار والحجاج انطلاقا من المغرب الأقصى مرورا ببسكرة

ووصولا إلى مكة المكرمة تحصلنا عليها من خلال زيارتنا لضريح سيدي خالد جنوب غرب بسكرة 10 كلم غرب مقر ولاية اولاد جلال حاليا

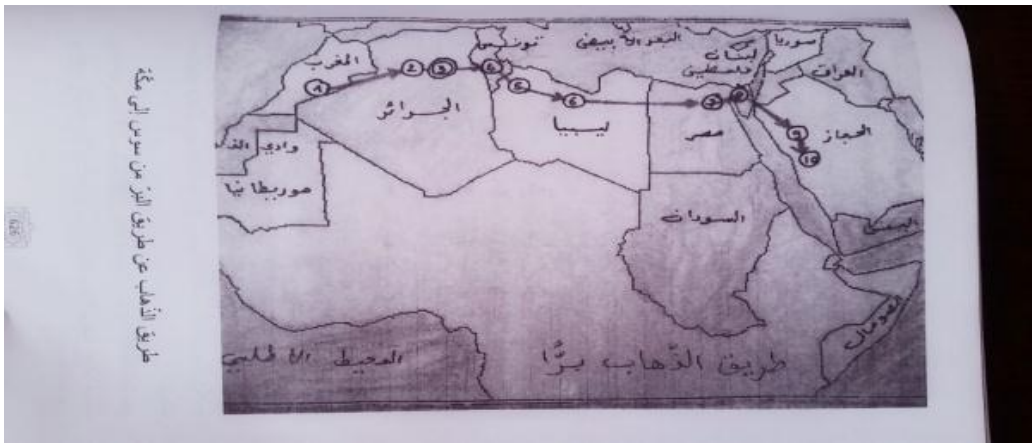

صورة رقم 02: لشهيد الوطن عبد القادر العايش

صورة رقم 03: لشهيد الوطن لكحل بن عيسى